فصل

فى بيان كفر الاتحادية وفساد قولهم بالأدلة النظرية

• بعض ما يظهر به كفرهم ، وفساد قولهم . وذلك من وجوه :

أحدها : أنَّ حقيقة قولهم : إنّ اللّه لم يخلق شيئاً ولا ابتدعه ولا برأه ولا صوّره ، لأنه إذا لم يكن وجود إلا وجوده فمن الممتنع أن يكون خالقًا لوجود نفسه ، أو بارئاً لذاته ، فإنَّ العلم بذلك من أبين العلوم وأبدهها للعقول أنَّ الشئ لا يخلق نفسه ، ولهذا قال سبحانه : ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ ﴾ ؟ (١) فإنهم يعلمون أنهم لم يكونوا مخلوقين من غير خالق ، ويعلمون أنَّ الشئ لا يخلق نفسه فتعيَّن أنَّ لهم خالقاً ، وعند هؤلاء الكفار الملاحدة الفرعونية أنه ما ثَمَّ شئ يكون الرب قد خلقه وبرأه أو أبدعه إلا نفسه المقدسة ، ونفسه المقدسة لا تكون مخلوقة مربوبة مصنوعة مبروءة لامتناع ذلك فى بدائه العقول ، وذلك من أظهر الكفر عند جميع أهل الملل ، وأما على رأى صاحب الفصوص فما ثَمَّ إلا وجوده والذوات الثابتة فى العدم الغنية عنه ، ووجوده لا يكون مخلوقاً ، والذوات غنية عنه ، فلم يخلق اللّه شيئاً .

الثانى : أنَّ عندهم أنَّ اللّه ليس رب العالمين ، ولا مالك المُلك ، أو ليس إلا وجوده ، وهو لا يكون رب نفسه ، ولا يكون الملك المملوك هو الملك المالك ، وقد صرّحوا بهذا الكفر مع تناقضه وقالوا : إنه هو مَلك المُلك ، بناءً على أنَّ وجوده مفتقر إلى ذوات الأشياء ، وذوات الأشياء مفتقرة إلى وجوده ، فالأشياء مالكة لوجوده ، فهو مَلك المُلك .

الثالث : أنَّ عندهم أنَّ اللّه لم يرزق أحداً شيئاً ، ولا أعطى أحداً شيئاً ، ولا رحم أحداً ، ولا أحسن إلى أحد ، ولا هدى أحداً ، ولا أنعم على أحد نعمة ،

---

(١) الطور : ٣٥

ولا علّم أحداً علماً ، ولا علّم أحداً البيان ، وعندهم فى الجملة لم يصل منه إلى أحد لا خير ولا شر ، ولا نفع ولا ضر ، ولا عطاء ولا منع ، ولا هدى ولا إضلال أصلاً . وأنّ هذه الأشياء جميعها عين نفسه ومحض وجوده . فليس هناك غير يصل إليه ، ولا أحد سواه ينتفع بها ، ولا عبد يكون مرزوقاً أو منصوراً أو مهدياً .

ثم على رأى صاحب « الفصوص » : أنّ هذه الذوات ثابتة فى العدم ، والذوات هى أحسنت وأساءت ، ونفعت وضرّت ، وهذا عنده سر القَدَر . وعلى رأى الباقين : ما ثَمّ ذات ثابتة غيره أصلاً ، بل هو ذام نفسه بنفسه ، ولاعن نفسه بنفسه ، وهو المرزوق المضروب المشتوم ، وهو الناكح والمنكوح ، والآكل والمأكول ، وقد صرّحوا بذلك تصريحاً بيّناً .

الرابع : أنّ عندهم أنّ اللّه هو الذى يركع ويسجد ويخضع ويعبد ويصوم ويجوع ويقوم وينام . وتصيبه الأمراض والأسقام ، وتبتليه الأعداء ، ويصيبه البلاء ، وتشتد به اللأواء ، وقد صرّحوا بذلك وصرّحوا بأنّ كل كرب يصيب النفوس فإنه هو الذى يصيبه . وأنه إذا نَفّس الكرب فإنما يتنفس عنه ، ولهذا كره بعض هؤلاء الذين هم من أكفر خلق اللّه وأعظمهم نفاقاً وإلحاداً وعتواً على اللّه وعناداً أن يصبر الإنسان على البلاء لأنّ عندهم هو المصاب المبتلى . وقد صرّحوا بأنه موصوف بكل نقص وعيب فإنه ما ثَمّ مَن يتصف بالنقائص والعيوب غيره . فكل عيب ونقص وكفر وفسوق فى العالَم فإنه هو المتصف به لا متصف به غيره . كلهم متفقون على هذا فى الوجود .

ثم صاحب « الفصوص » يقول : إنّ ذلك ثابت فى العدم ، وغيره يقول : ما ثَمّ سوى وجود الحق الذى هو متصف بهذه المعايب والمثالب .

• تحريف الفصوص القرآن بقصة نوح وموسى لتأييد المشركين :

الخامس : أن عندهم أنَّ الذين عبدوا اللَّات والعُزَّىٰ ومناة الثالثة الأخرىٰ والذين عبدوا وُداً وسواع ويغوث ويعوق ونَسراً . والذين عبدوا الشعرى والنجم والشمس والقمر ، والذين عبدوا المسيح وعزيراً والملائكة وسائر مَن عبد الأوثان والأصنام : قوم نوح وعاد وثمود وقوم فرعون وبنى إسرائيل وسائر المشركين والعرب - ما عبدوا إلا اللّه . ولا يُتصور أن يعبدوا غير اللّه ، وقد صرَّحوا بذلك فى مواضع كثيرة مثل قول صاحب « الفصوص فى « فص الكلمة النوحية » :

﴿ وَمَكَرُواْ مَكْراً كُبَّاراً ﴾ (١) : لأنَّ الدعوة إلى اللّه مكر بالمدعو ، لأنه ما عدم من البداية فيدعى إلى الغاية ، ﴿ أَدْعُواْ إِلَى اللّه ﴾ هنا عدة المكر ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ (٢) ففيه أنَّ الأمر له كله فأجابوه مكراً كما دعاهم ... إلى أن قال : فقالوا فى مكرهم : ﴿ لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ﴾ (٣) ، فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء ، فإنَّ الحق فى كل معبود وجهاً خاصاً يعرفه مَن عرفه ويجهله مَن جهله فى المحمديين ، ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ (٤) أى حَكَم ، فالعالِم يعلم مَن عبد وفى أى صورة ظهر حتى عُبِد ، وأنَّ التفريق والكثرة كالأعضاء فى الصورة المحسوسة وكالقوى المعنوية فى الصورة الروحانية . فما عُبِدَ غير اللّه فى كل معبود . فالأدنى مَن تخيل فيه الألوهية . فلولا هذا التخيل ما عُبِدَ الحجر ولا غيره . ولهذا قال تعالى : ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ (٥) فلو سموهم لسموهم حجراً وشجراً وكوكباً . ولو قيل : مَن عبدتم ؟ لقالوا : إلهاً واحداً كما كانوا يقولون : « اللّه ولا الإلَه » ، وإلا على ما تخيل بل قال : هذا مجلى إلهى ينبغى تعظيمه فلا يقتصر . فالأدنى صاحب التخيل يقول : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللّهِ زُلْفَىٰ ﴾ (٦) والأعلى العالِم يقول :

---

(١) نوح : ٢٢ (٢) يوسف : ١٠٨ (٣) نوح : ٢٣
(٤) الإسراء : ٢٣ (٥) الرعد : ٣٣ (٦) الزمر : ٣

﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ﴾ (١) حيث ظهر ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ (٢) الذين خبت نار طبيعتهم فقالوا : « إلٰهاً » ولم يقولوا : « طبيعة »

● زعمه أنَّ عبادة العجل والأصنام والهوى أعلى المعرفة :

وقال أيضاً فى « فص الهارونية » : « ثم قال هارون لموسى : ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (٣) فتجعلنى سبباً فى تفريقهم ، فإنّ عبادة العجل فرّقت بينهم ، وكان فيهم مَن عبده اتباعاً للسامرى وتقليداً له ، ومنهم مَن توقف عن عبادته حتى يرجع موسى إليهم فيسألونه فى ذلك ، فخشى هارون أن يُنسب ذلك التفريق إليه ، فكان موسى أعلم بالأمر من هارون لأنه علم ما عبده أصحاب العجل ، لعلمه بأنّ الله قد قضى أن لا يُعبد إلا إياه ، وما حكم الله بشئ إلا وقع ، فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر فى إنكاره وعدم إتساعه ، فإنّ العارف مَن يرى الحق فى كل شئ ، بل يراه عين كل شئ ، فكان موسى يربى هارون تربية علم وإن كان أصغر منه فى السن ، ولذلك لما قال له هارون ما قال رجع إلى السامرى فقال : ﴿ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴾ (٤) يعنى فيما صنعتُ من عدولك إلى صورة العجل على الاختصاص ... وساق الكلام إلى أن قال : فكان عدم قوة إرداع هارون بالفعل أن تنفذ فى أصحاب العجل بالتسليط على العجل كما سلط موسى عليه - حكمة من الله ظاهرة فى الوجود ليُعبد فى كل صورة ، وإن ذهبت تلك الصورة بعد ذلك فما ذهبت إلا بعد ما تلبست عند عابدها بالألوهية ، ولهذا ما بقى نوع من الأنواع إلا وعُبِد ، إما عبادة تأله ، وأما عبادة تسخير ، ولا بد من ذلك لمن عقل ، وما عُبِدَ شئ من العالَم إلا بعد التلبس بالرفعة عند العابد والظهور بالدرجة فى قلبه ، ولذلك تسمى الحق لنا بـ « رفيع الدرجات » ولم يقل « رفيع الدرجة » فكثُر الدرجات

---

(١) الحج : ٣٤ (٢) الحج : ٣٤

(٣) طه : ٩٤ (٤) طه : ٩٥

فى عين واحدة فإنه قضى أن لا يُعبد إلا إياه فى درجات له كثيرة مختلفة أعطت كل درجة مجلى إلٰهياً عُبد فيها ، وأعظم مجلى عُبِدَ فيه وأعلاه « الهوى » كما قال : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ (١) فهو أعظم معبود ، فإنه لا يُعبد شئ إلا به ، ولا يُعبد هو إلا بذاته . وفيه أقول :

وحق الهوى إنَّ الهوى سبب الهوى ولولا الهوى فى القلب ما عُبِدَ الهوى

● فلسفته وثرثرته فى تسمية الشرك معرفة :

« ألا ترى علم الله بالأشياء ما أكمله كيف تم فى حق مَن عبد هواه واتخذه إلهاً فقال : ﴿ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ (٢) والضلالة : الحيرة ، وذلك أنه لما رأى هذا العابد ما عبد إلا هواه بانقياده لطاعته فيما يأمر به من عبادة مَن عبده من الأشخاص ، حتى إنَّ عبادة الله كانت عن هوى أيضاً فإنه لو لم يقع له فى ذلك الجناب المقدس هوى - وهو الإرادة بمحبة - ما عبد الله ولا آثره على غيره ، وكذلك كل مَن عبد صورة من صور العالَم واتخذها إلهاً ما اتخذها إلا بالهوى ، فالعابد لا يزال تحت سلطان هواه ثم رأى المعبودات تتنوع فى العابدين ، وكل عابد أمراً ما يُكَفِّر مَن يعبد سواه ، والذى عنده أدنى تنبه لا يحار لاتحاد الهوى بل لأحدية الهوى كما ذكر ، فإنه عين واحدة فى كل عابد : ﴿ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ ﴾ أى حيَّره على علم بأنَّ كل عابد ما عبد إلا هواه ، ولا استعبده إلا هواه ، سواء صادف الأمر المشروع أو لم يصادف ، والعارف المكمل مَن رأى كل معبود مجلى للحق يُعبد فيه . ولذلك سموه كلهم إله مع اسمه الخاص : شجر أو حجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو مَلَك ، هذا اسم الشخصية فيه والأُلوهية مرتبة تخيل العابد له أنها مرتبة معبوده ، وهى على الحقيقة مجلى الحق لبصر هذا العابد المعتكف على هذا المعبود فى هذا المجلى المختص بحجر ، ولهذا قال بعض مَن لم يعرف مقاله جهالة : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ (٣) مع

---

(١) الجاثية : ٢٣ (٢) الجاثية : ٢٣ (٣) الزمر : ٣

تسميتهم إياهم آلهة ، كما قالوا : ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلٰهاً وَاحِداً ، إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ (١) فما أنكروه بل تعجبوا من ذلك فإنهم وقفوا على كثرة الصور ونسبة الألوهية له ، فجاء الرسول ودعاهم إلى إله واحد يُعرف ، ولا يشهد أيضاً بشهادتهم أنهم أثبتوه عندهم واعتقدوه فى قولهم : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ (٢) لعلمهم بأنَّ تلك الصور حجارة ، ولذلك قامت الحُجَّة عليهم بقوله : ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ (٣) فما يسمونهم إلا بما يعلمون أنَّ تلك الأسماء لهم حقيقة - كحجر وخشب وكوكب وأمثالها - وأما العارفون بالأمر على ما هو عليه فيظهرون صورة الإنكار لما عُبِدَ من الصور لأنَّ مرتبتهم فى العلم تعطيهم أن يكونوا بحكم الوقت لحكم الرسول الذى آمنوا به عليهم الذى به سموا مؤمنين ، فهم عُبَّاد الوقت ، مع علمهم بأنهم ما عبدوا من تلك الصور أعيانها وإنما عبدوا اللّه فيها بحكم سلطان التجلى الذى عرفوه منهم ، وجهله المنكر الذى لا علم له بما يتجلى . وستره العارف المكمل من نبى أو رسول أو وارث عنهم ، فأمرهم بالانتزاح عن تلك الصور لما انتزح عنها رسول الوقت اتباعاً للرسول طمعاً فى محبة اللّه إياهم بقوله : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (٤) فدعا إلى إله يصمد إليه ويعل من حيث الجملة ولا يُشهد ولا تدركه الأبصار ، بل هو يدرك الأبصار للطفه وسريانه فى أعيان الأشياء ، فلا تدركه الأبصار كما أنها لا تدرك أرواحها المدبرة أشباحها ، وصورها الظاهرة ، فهو اللطيف الخبير ، والخبرة ذوق ، والذوق تجلى ، والتجلى فى الصور ، فلا بد منها ولا بد منه ، فلا بد أن يعبده مَن رآه بهواه . إن فهمت هذا » .. اهـ .

---

(١) سورة ص : ٥
(٢) الزمر : ٣
(٣) الرعد : ٣٣
(٤) آل عمران : ٣١

• رد الشيخ على إلحاد ابن عربى وشركه بأنه خلاف دين اللّه وسائر الأديان :

فتدبر حقيقة ما عليه هؤلاء فإنهم أجمعوا على كل شرك فى العالم وعدلوا باللّه كل مخلوق وجوّزوا أن يُعبد كل شئ ، ومع كونهم يعبدون كل شئ فيقولون : ما عبدنا إلا اللّه ، فاجتمع فى قولهم أمران : كل شرك ، وكل جحود وتعطيل مع ظنهم أنهم ما عبدوا إلا اللّه ، ومعلوم أنّ هذا خلاف دين المرسلين كلهم وخلاف دين أهل الكتاب كلهم ، والملل كلها ، بل وخلاف دين المشركين أيضاً ، وخلاف ما فَطَرَ اللّه عليه عباده مما يعقلونه بقلوبهم ويجدونه فى نفوسهم ، وهو فى غاية الفساد والتناقض والسفسطة والجحود لرب العالمين .

وذلك أنه عُلِمَ بالاضطرار أنّ الرسل كانوا يجعلون ما عبده المشركون غير اللّه ، ويجعلون عابده عابداً لغير اللّه مشركاً باللّه عادلاً به جاعلاً له نداً . فإنهم دعوا الخلق إلى عبادة اللّه وحده لا شريك له . وهذا هو دين اللّه الذى أنزل به كتبه وأرسل به رسله ، وهو الإسلام العام الذى لا يقبل اللّه من الأولين والآخرين غيره ، ولا يغفر لمن تركه بعد بلاغ الرسالة كما قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (١) وهو الفارق بين أهل الجنة وأهل النار والسعداء والأشقياء كما قال النبى ﷺ : « مَن كان آخر كلامه : لا إله إلا اللّه وجبت له الجنة » ، وقال : « مَن مات يعلم أنّ لا إله إلا اللّه وجبت له الجنة » ، وقال : « إنى لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت إلا وجد لها روحاً وهى رأس الدين » ، وكما قال : « أُمِرتُ أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أنّ لا إله إلا اللّه وأنى رسول اللّه ، فإذا قالوها عصموا منى دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على اللّه » .

---

(١) النساء : ٤٨

● تفنيد شركهم بآيات القرآن فى أخبار الرسل :

وفضائل هذه الكلمة وحقائقها وموقعها من الدين فوق مايصفه الواصفون ويعرفه العارفون ، وهى حقيقة الأمر كله كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [1] ، فأخبر سبحانه أنه يوحى إلى كل رسول بنفى الألوهية عما سواه وإثباتها له وحده . وزعم هؤلاء الملاحدة المشركون أنّ كل شئ يستحق الألوهية كاستحقاق الله لها ، وقال تعالى : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ ؟ [2] وزعم هؤلاء الملاحدة أنّ كل شئ فإنه إله معبود ، فأخبر سبحانه أنه لم يجعل من دون الرحمن آلهة . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ [3] فأمر الله سبحانه بعبادته واجتناب الطاغوت . وعند هؤلاء : أنّ الطواغيت جميعها فيها الله ، أو هى الله ، ومَن عبدها فما عبد إلا الله . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ ... الآيتين [4] ، وأمر سبحانه بعبادة الرب الخالق لهذه الآيات . وعند هؤلاء الملاحدة الملاعين : هو عين هذه الآيات . ونهى سبحانه أن يجعل الناس له أنداداً ، وعندهم : هذا لا يُتصور فإنّ الأنداد هى عينه ، فكيف يكون نداً لنفسه ؟ والذين عبدوا الأنداد فما عبدوا سواه .

● تصحيحهم لعبادة اللات والعُزَّى وغيرها وعبادة الشيطان :

ثم إنّ هؤلاء الملاحدة احتجوا بتسمية المشركين لما عبدوه إلهاً كما قال : ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً ﴾ ؟ [5] ، واعتقدوا أنهم لما سموهم آلهة كانت تسمية المشركين دليلاً على أنّ إلهية الله لهم . وهذه الحُجّة قد ردها الله على المشركين فى غير موضع كقوله سبحانه عن هود فى مخاطبته للمشركين من قومه :

---

(١) الأنبياء : ٢٥ (٢) الزخرف : ٤٥ (٣) النحل : ٣٦

(٤) البقرة : ٢١ (٥) سورة ص : ٥

obeikandi.com

﴿ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم ﴾ ... الآية [1] هذا رداً لقولهم : ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ [2] فأخبر رسول الله ﷺ أنَّ تسميتهم إياها آلهة ومعبودين تسمية ابتدعوها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من حُجَّة ولا سلطان ، والحكم ليس إلا لله وحده ، وقد أمر هو سبحانه أن لا يُعبد إلا إياه ، فكيف يحتج بقول مشركين لا حُجَّة لهم ؟ وقد أبطل الله قولهم ؟ وأمر الخلق أن لا يعبدوا إلا إياه دون هذه الأوثان التى سماها المشركون آلهة ، وعند الملاحدة عابدو الأوثان ما عبدوا إلا الله .

ثم إنَّ المشركين أنكروا على الرسول حيث جاءهم ليعبدوا الله وحده ويذروا ما كان يعبد آباؤهم ، فإذا كانوا هم ما زالوا يعبدون الله وحده كما تزعمه الملاحدة ، فلِمَ يدعو إلى ترك ما يعبده آباؤهم هو وغيره من الأنبياء ؟ وكذلك قال سبحانه فى سورة يوسف عنه : ﴿ يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ ... إلى قوله : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [3] ، وقال سبحانه : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ﴾ ... إلى قوله : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الهُدَىٰ ﴾ [4] ، وهذه الثلاثة المذكورة فى هذه السورة هى الأوثان العظام الكبار التى كان المشركون ينتابونها من أمصارهم ، فاللات كانت حذو قديد بالساحل لأهل المدينة ، والعُزَّى كانت قريبة من عرفات لأهل مكة ، ومناة كانت بالطائف لثقيف ، وهذه الثلاثة هى أمصار أرض الحجاز .

---

(١) الأعراف : ٧١
(٢) الأعراف : ٧٠
(٣) يوسف : ٣٩ - ٤٠
(٤) النجم : ١٩ - ٢٣

● فى توحيد خليل الرحمن وتنقيص ابن عربى له ولسائر الرسل :

أخبر سبحانه أنَّ الأسماء التى سماها المشركون أسماء ابتدعوها لا حقيقة لها ، فهم إنما يعبدون أسماء لا مسميات لها ، لأنه ليس فى المسمى من الألوهية ولا العزَّة ولا التقدير شئ ، ولم يُنزل الله سلطانا بهذه الأسماء ، إن يتبع المشركون إلا ظناً لا يُغنى من الحق شيئاً فى أنها آلهة تنفع وتضر ويتبعوا أهواء أنفسهم . وعند الملاحدة أنهم إذا عبدوا أهواءهم فقد عبدوا الله ، وقد قال سبحانه عن إمام الأئمة وخليل الرحمن وخير البرية بعد محمد ﷺ أنه قال لأبيه : ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْئاً * يَا أَبَتِ إِنِّى قَدْ جَاءَنِى مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ ﴾ ... إلى قوله : ﴿ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً ﴾ (١) فنهاه وأنكر عليه أن يعبد الأوثان التى لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنه شيئاً .

وعلى زعم هؤلاء الملحدين : فما عبدوا غير الله فى كل معبود ، فيكون الله هو الذى لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنه شيئاً ، وهو الذى نهاه عن عبادته ، وهو الذى أمره بعبادته . وهكذا قال أحذق طواغيتهم الفاجر التلمسانى فى قصيدة له :

يا عاذلى أنت تنهانى وتأمرنى ... والوجد أصدق نهَّاءً وأمَّارِ

فإن أطعك وأعص الوجد عذرنى ... عمى عن العيان إلى أوهام أخبارِ (٢)

وعين ما أنت تدعونى إليه إذا ... حققته تره المنهى يا جارى

وقد قال أيضاً إبراهيم لأبيه : ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً ﴾ (٣) ، وعندهم أنَّ الشيطان مجلى إلهى ينبغى تعظيمه

---

(١) مريم : ٤٢ - ٤٥ (٢) كذا فى الأصل وليحرر . (٣) مريم : ٤٤

ومَن عبده فما عبد غير الله ، وليس الشيطان غير الرحمن حتى نعصيه ، وقد قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي ، هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ ... إلى قوله : ﴿ تَعْقِلُونَ ﴾ (١) فنهاهم عن عبادة الشيطان وأمرهم بعبادة الله سبحانه ، وعندهم : عبادة الشيطان هي عبادته أيضاً ، فينبغي أن يُعبد الشيطان وجميع الموجودات فإنها عينه

وقال تعالى أيضاً عن إمام الخلائق خليل الرحمن أنه لما ﴿ رَأَى كَوْكَباً ، قَالَ هَذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ، فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ﴾ ... إلى قوله : ﴿ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ (٢) ، وقال أيضاً : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ ﴾ ... إلى قوله : ﴿ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴾ ... إلى قوله : ﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥) ، وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾ ... إلى قوله : ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ (٦) .

---

(١) يس : ٦٠ - ٦٢ (٢) الأنعام : ٧٦ - ٨٢ (٣) الممتحنة : ٤

(٤) الزخرف : ٢٦ (٥) الشعراء : ٧٥ - ٩٨

(٦) الشعراء : ٧٠ - ٧١ ، أما ما بعد : « إلى قوله » فهو من سورة الأنبياء : ٦٨

• بيان كفر الاتحاديين بحُجَّة اللّه التى آتاها إبراهيم على قومه :

فهذا الخليل الذى جعله اللّه إمام الأئمة الذين يهتدون بأمره من الأنبياء والمرسلين بعده وسائر المؤمنين قال : ﴿ إِنَّنِى بَرِىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً ﴾ (١) وعند الملاحدة : الذى أشركوه هو عين الحق ليس غيره ، فكيف يتبرأ من اللّه الذى وجَّهَ وجهه إليه ؟ وأحد الأمرين لازم على أصلهم ، إما أن يعبده فى كل شئ من المظاهر بدون تقيد ولا اختصاص وهو حال المكمل عندهم فلا يتبرأ من شئ ، وإما أن يعبده فى بعض المظاهر كفعل الناقصين عندهم .

وأما التبرىء من بعض الموجودات فقد قال : إنَّ قوم نوح لو تركوهم لتركوا من الحق بقدر ما تركوا من تلك الأوثان ، والرسل قد تبرأت من الأوثان فقد تركت الرسل من الحق شيئاً كثيراً وتبرؤا من اللّه الذى دعوا الخلق إليه ، والمشركون على زعمهم أحسن حالاً من المرسلين ، لأنَّ المشركين عبدوه فى بعض المظاهر ولم يتبرؤا من سائرها ، والرسل يتبرؤن منه فى عامة المظاهر .

ثم قول إبراهيم : ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ (٢) باطل على أصلهم ، فإنه لم يفطرها إذ هى ليست غيره ، فما أجدرهم بقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ ... الآية (٣) .

ثم قول الخليل : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ ﴾ ... الآية (٤) وهذه حُجَّة اللّه التى آتاها إبراهيم على قومه بقوله : كَيفَ أخاف ما عبدتموه من دون اللّه ؟ وهى المخلوقات المعبودة من دونه ، وعندهم : ليست معبودة من دونه ، ومَن لم يقم بحقها فلم يخف اللّه ، والرسل لم يخافوا اللّه .

---

(١) الأنعام : ٧٨ - ٧٩ (٢) الأنعام : ٧٩

(٣) النساء : ٥١ (٤) الأنعام : ٨١

● جعلهم الشرك الذى لم ينزل به سلطاناً أكمل الإيمان :

وقول الخليل : ﴿ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً ﴾ (١) لم يصح عندهم فإنهم لم يشركوا باللّه شيئا إذ ليس ثَمَّ غيره حتى يشركوا به ، بل المعبود الذى عبدوه هو اللّه ، وأكثر ما فعلوه أنهم عبدوه فى بعض المظاهر وليس فى هذا أنهم جعلوا غيره شريكاً له فى العبادة

وقوله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ (٢) ورد فى الصحيحين عن عبد اللّه بن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب النبى ﷺ وقالوا : أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال النبى ﷺ : « ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح : ﴿ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣) » ؟ فقد أخبر اللّه ورسوله أنّ الشرك ظلم عظيم ، وأنّ الأمن هو لمن آمن باللّه ولم يخلط إيمانه بشرك ، وعلى زعم هؤلاء الملاحدة : فإيمان الذين خلطوا إيمانهم بشرك هو الإيمان الكامل التام ، وهو إيمان المحقق العارف عندهم ، لأن مَن آمن باللّه فى جميع مظاهره وعبده فى كل موجود هو أكمل ممن لم يؤمن بالأمر حيث لم يظهر ، ولم يعبده إلا من حيث لا يشهد ولا يعرف (٤) ، وعندهم : لا يُتصور أن يوجد إلا فى المخلوق ، فمَن لم يعبده فى شئ من المخلوقات أصلاً فما عبده فى الحقيقة، وإذا أطلقوا أنه عبده فهو لفظ لامعنى له ، أى إذا فسّروه فيكون بالتخصيص بمعنى أنه خصّص بعض المظاهر بالعبادة ، وهذا عندهم نقص لا من جهة ما أشركه وعبده ، وإنما هو من جهة ما تركه ، فليس عندهم فى الشرك ظلم ولا نقص إلا من جهة قلته ، وإلا فإذا كان الشرك عاماً كان أكمل وأفضل .

---

(١) الأنعام : ٨١ (٢) الأنعام : ٨٢ (٣) لقمان : ١٣

(٤) يعنون بهذا : الإيمان بالغيب الذى هو أساس دين اللّه فى القرآن وسائر الكتب الإلهية . وهذا عندهم أدنى وأنقص درجات الإيمان بل هو عندهم باطل ، إذ لا موجود عندهم غير هذه المظاهر ، فأكمل العبادة عبادتها أو عبادة ما سمى الإله فيها كلها وهو هى ، ودون ذلك عبادته فى بعضها كعبادة المسيح وغيره من البَشر وعبادة العجل والأصنام ، فكلما كثرت المعبودات كانت العبادة أكمل ، ولا يسمى هذا شركاً عندهم لأنّ هذه كلها وسائر الموجودات شىء واحد فى نفسه متعدد فى مظاهره .

وكذلك أيضا قول الخليل لقومه : ﴿ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ (١) تبرأ عندهم من الحق الذى ظهر فيهم وفى آلهتهم ، وكذلك كفره به ومعاداته لهم كفر بالحق عندهم ومعاداة له .

- **تحريفهم لآية : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾ بحمل القضاء على التكوين القَدَرى :**

ثم قوله : ﴿ حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ (٢) كلام لا معنى له عندهم ، فإنهم كانوا مؤمنين بالله وحده ، إذ لا يُتصور عندهم غيره ، وإنما غايتهم أنهم عبدوه فى بعض المظاهر وتركوا بعضها من غير كفر به فيها ، وكذلك سائر ما قصَّه عن إبراهيم من معاداته لما عبده أولئك هو عندهم معاداة لله لأنه ما عبد غير الله كما زعم الملحدون محتجين بقوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ (٣) قالوا : وما قضى الله شيئاً إلا وقع . وهذا هو الإلحاد فى آيات الله ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، والكذب على الله ، فإنَّ « قَضَى » هنا ليست بمعنى القَدَر والتكوين بإجماع المسلمين بل وبإجماع العقلاء حتى يُقال ما قَدَّر الله شيئاً إلا وقع ، وإنما هى بمعنى أمر ، وما أمر الله به فقد يكون وقد لا يكون . فتدبر هذا التحريف ، وكذلك قوله : « ما حكم الله بشئ إلا وقع » كلام مجمل ، فإنَّ الحكم يكون بمعنى الأمر الدينى وهو الأحكام الشرعية كقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ ، أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ ﴾ ... الآية (٤) ، وقوله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ ، يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾ (٦) ، ويكون الحكم حكماً بالحق والتكوين والعقل كقوله : ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِى أَبِى أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِى ﴾ (٧) ، وقوله : ﴿ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ﴾ (٨) .

---

(١) الممتحنة : ٤ (٢) الممتحنة : ٤ (٣) الإسراء : ٢٣
(٤) المائدة : ١ (٥) المائدة : ٥٠ (٦) الممتحنة : ١٠
(٧) يوسف : ٨٠ (٨) الأنبياء : ١١٢

ولهذا كان بعض السلف يقرأون : « ووصّى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه » ، وذكروا أنها كذلك فى بعض المصاحف ، ولهذا قال فى سياق الكلام : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ ... الآية [1] ، وساق أمره ووصياه إلى أن قال : ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ، وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِى جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً ﴾ [2] فختم الكلام بمثل ما فتحه به من أمره بالتوحيد ونهيه عن الشرك ليس هو إخباراً أنه ما عُبِدَ أحدٌ إلا الله وأنّ الله قدّر ذلك وكوّنه ، وكيف وقد قال : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ ﴾ ؟ وعندهم : ليس فى الوجود شئ يُجعل إلهاً آخر ، فأى شئ عُبِدَ فهو نفس الإله ليس آخر غيره .

ومثل معاداة إبراهيم والمؤمنين لله - على زعمهم - حيث عادى العابدين والمعبودين وما عبد غير الله ، وما عبد الله غير الله ، فهو عين كل عابد وعين كل معبود ، وقوله تعالى : ﴿ لا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ [3] ، وعلى زعمهم : ما لله عدو أصلاً ، وأنه ما ثَمَّ غير ولا سوى بحيث يُتصور أن يكون عدو نفسه أو عدو الذوات التى لا يظهر إلا بها .

● زعمهم أنَّ الدعوة إلى عبادة الله مكر بالعباد :

السادس : أنّ عندهم أنّ دعوة العباد إلى الله مكر بهم كما صرّح به حيث قال : « إنّ الدعوة إلى الله مكر بالمدعو فإنه ما عُدِمَ من البداية فيدعى إلى الغاية » .

وقال أيضاً صاحب الفصوص : « ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ [4] : الذين خبت نار طبيعتهم فقالوا : إلهاً ولم يقولوا : طبيعة ، ﴿ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيراً ﴾ [5] أى

---

(١) الإسراء : ٢٣ (٢) الإسراء : ٣٩ (٣) الممتحنة : ١
(٤) الحج : ٣٤ (٥) نوح : ٢٤

حيروهم فى تعداد الواحد بالوجوه والنَسب ، ﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ ﴾ لأنفسهم المصطفين الذين أورثوا الكتاب فهم أول الثلاثة فقدَّمه على المقتصد والسابق ﴿ إِلَّا ضَلَالاً ﴾ (١) أى إلا حيرة . وفى المحمدى : زدنى فيك تحيراً ، ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ﴾ (٢) له فالمحير له الدور ، والحركة الدورية حول القطب فلا تبرح منه ، وصاحب الطريق المستطيل مائل خارج عن المقصود طالب ما هو فيه ، صاحب خيال إليه غايته ، فله « من » و « إلى » وما بينهما ، وصاحب الحركة الدورية لا بدء له فيلزمه « من » ولا غاية فتحكم عليه « إلى » فله الوجود الأتم وهو المؤتى جوامع الكلم » اهـ .

وقال بعض شعرائهم :

ما بال عينك لا يقر قرارها ... وإلام خطوك لاينى متنقلا

فلسوف تعلم أنَّ سيرك لم يكن ... إلا إليكَ إذا بلغتَ المنزلا

فعندهم : الإنسان هو غاية نفسه ، وهو معبود نفسه ، وليس وراءه شئ يعبده أو يقصده ، أو يدعوه أو يستجيب له ، ولهذا كان قولهم حقيقة قول فرعون .

وكنت أقول لمن أخاطبه : إنَّ قولهم هو حقيقة قول فرعون حتى حدثنى بعض مَن خاطبته فى ذلك من الثقات العارفين : أنَّ بعض كبرائهم لما دعا هذا المحدث إلى مذهبهم وكشف له حقيقة سرهم قال : فقلت له : هذا قول فرعون ، قال : نعم ، ونحن على قول فرعون ، فقلت له : والحمد للّه الذى اعترفوا بهذا ، فإنه مع إقرار الخصم لا يحتاج إلى بيِّنة .

* * *

(١) نوح : ٢٤ (٢) البقرة : ٢٠

• جعلهم متبِّع الصراط المستقيم صاحب خيال :

وقد جعل صاحب الطريق المستطيل صاحب خيال ، ومدح الحركة المستديرة الحائرة ، والقرآن يأمر بالصراط المستقيم ويمدحه ويثنى على أهله لا على المستدير . ففى أم الكتاب : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (١) ، وقال : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً ﴾ ... الآيتين (٣) . وقال تعالى فى موسى وهارون : ﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً ، قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (٥) ، وقال عن إبليس : ﴿ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِى لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم ﴾ ... الآية (٦) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلا فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٧) ، وهؤلاء الملحدون من أكابر متبعيه ، وأنه قعد لهم على صراط الله المستقيم فصدَّهم عنه حتى كفروا بربهم ، وآمنوا أنَّ نفوسهم هى معبودهم وإلههم . وقال تعالى فى حق خاتم الرسل : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ ﴾ ... الآية (٨) .

وأيضاً فإنَّ الله يقول : ﴿ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ ﴾ (٩) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ (١٠) ، وقال تعالى :

---

(١) الفاتحة : ٦ (٢) الأنعام : ١٥٣

(٣) أى أقرأ الآيتين بعد هذه إذ آخرهما : ﴿ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً ﴾ (النساء : ٦٦ - ٦٨) .

(٤) الصافات : ١١٧ - ١١٨ (٥) الأنعام : ١٢٦ (٦) الأعراف : ١٦ - ١٧

(٧) سبأ : ٢٠ (٨) الشورى : ٥٢ - ٥٣ (٩) يونس : ٣٠

(١٠) الغاشية : ٢٥ - ٢٦

﴿ إلى اللّه مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً ﴾ ... الآية [1] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الإنسَانُ إنَّكَ كَادِحٌ إلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيه ﴾ [2] ، وهؤلاء : عندهم ما ثَمَّ إلا أنت ، وأنت من الآن مردود إلى اللّه ، وما رأيتَ مردوداً إليه وليس هو شئ غيرك حتى ترد إليه أو ترجع إليه ، أو تكدح اليه أو تلاقيه .

- **حال ابن الفارض والتلمسانى عند الموت ، وتصحيح ابن عربى لدعوى فرعون :**

ولهذا حدثونا أنَّ ابن الفارض لما احتضر أنشد بيتين :

إن كان منزلتى فى الحب عندكمُ ... ما قد لقيتُ فقد ضيّعتُ أيامـى

أمنيـــة ظفــرت نفسى بها زمناً ... واليوم أحسبها أضغاثُ أحلامِ

وذلك أنه كان يتوهم أنه اللّه ، وأنه ما ثَمَّ مرد إليه ومرجع إليه غير ما كان عليه ، فلما جاءته ملائكة اللّه تنزع روحه من جسمه ، وبدا له من اللّه ما لم يكن يحستب ، تبيَّن له أنَّ ما كان عليه من أضغاث أحلام من الشيطان .

وكذلك حدّثنى بعض أصحابنا عن بعض مَن أعرفه وله اتصال بهؤلاء عن الفاجر التلمسانى أنه وقت الموت تغيَّر واضطرب ، قال : دخلتُ عليه وقت الموت فوجدته يتأوه ، فقلت له : مِمَّ تتأوه ؟ فقال : من خوف الفوت ، فقلت : سبحان اللّه ، ومثلك يخاف الفوت وأنت تدخل الفقير إلى الخلوة فتوصله إلى اللّه فى ثلاثة أيام ؟ فقال ما معناه : زال ذلك كله وما وجدتُ لذلك حقيقة .

الثامن [3] : أنَّ عندهم مَن يدّعى الإلٰهية من البَشر كفرعون والدجال المنتظر ، أو أُدعيت فيه وهو من أولياء اللّه نبياً كالمسيح ، أو غير نبى كعلى ، أو ليس من أولياء اللّه كالحاكم [4] بمصر وغيرهم ، فإنه عند هؤلاء الملاحدة المنافقين

---

(١) المائدة : ٤٨ (٢) الانشقاق : ٦ (٣) لم يذكر السابع .

(٤) للتعريف بالحاكم انظر هامش ص ٣٠ من هذا الجزء .

يصحح هذه الدعوى ، وقد صرّح صاحب « الفصوص » أنّ هذه الدعوى كدعوى فرعون ، وهم كثيراً ما يعظّمون فرعون فإنه لم يتقدم لهم رأس فى الكفر مثله ، ولا يأتى متأخر لهم مثل الدجال الأعور الكذّاب ، وإذا نافقوا المؤمنين وأظهروا الإيمان قالوا : إنه مات مؤمناً وأنه لا يدخل النار ، وقالوا : ليس فى القرآن ما يدل على دخوله النار . وأما فى حقيقة أمرهم فما زال عندهم عارفاً باللّه ، بل هو اللّه ، وليس عندهم نار فيها ألم أصلاً كما سنذكره إن شاء اللّه عنهم ، ولكى يُتفطن بهذا لكون البدع مظان النفاق ، كما أن السُنَن شعائر الإيمان .

• تحريف ابن عربى آيات مراجعة فرعون لموسى واعترافه بربوبيته :

قال صاحب « الفصوص » فى فص « الحكمة التى فى الكلمة الموسوية » لما تكلّم على قوله : ﴿ وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ ﴾ ؟ [1] : « وهنا سر كبير فإنه أجاب بالفعل لمن سأل عن الحد الذاتى فجعل الحد الذاتى عين إضافته إلى ما ظهر به من صور العالَم أو ما ظهر فيه من صور العالَم ، فكأنه قال له فى جواب قوله : ﴿ وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ ﴾ ؟ قال : الذى يظهر فيه صور العالَمين من علو وهو السماء وسفل وهو الأرض ﴿ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ [2] أو يظهر هو بها ، فلما قال فرعون لأصحابه : « إنه لمجنون » كما قلنا فى معنى كونه مجنوناً . أى لمستور عنه علم ما سألته عنه أو لا يُتصور أن يعلم أصلاً ، زاد موسى فى البيان ليعلم فرعون رتبته فى العلم الإلهى لعلمه بأنّ فرعون يعلم ذلك فقال : ﴿ رَبُّ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ ﴾ [3] فجاء بما يظهر ويستر وهو الظاهر والباطن ﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ [3] وهو قوله : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [4] . ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [5] أى إن كنتم أصحاب تقييد فإنّ العقل للتقييد .

---

(١) الشعراء : ٢٣ (٢) الشعراء : ٢٤ (٣) الشعراء : ٢٨
(٤) البقرة : ٢٩ (٥) الشعراء : ٢٨

« والجواب الأول جواب الموقنين وهم أهل الكشف والوجود ، فقال له : ﴿ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ [1] أى أهل كشف ووجود فقد أعلمتكم ما تيقنتموه فى كشفكم ووجودكم ، فإن لم تكونوا من هذا الصنف فقد أجبتكم بالجواب الثانى إن كنتم أهل عقل وتقييد وحصرتم الحق فيما تعطيه أدلة عقولكم ، فظهر موسى بالوجهين ليعلم فرعون فضله وصدقه ، وعَلِمَ موسى أنَّ فرعون لكونه سأل عن ذلك من الماهية فعلم أنَّ سؤاله ليس على اصطلاح القدماء فى السؤال فلذلك أجاب ، فلو علم منه غير ذلك لخطأه فى السؤال ، فلما جعل موسى المسؤول عنه عين العالم خاطبه فرعون بهذا اللسان والقوم لا يشعرون فقال له : ﴿ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهاً غَيْرِى لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المَسْجُونِينَ ﴾ [2] والسين من حروف الزوائد ، أى لأسترنك فإنك أجبت بما أيدتنى به أن أقول مثل هذا القول ، فإن قلت لى بلسان الإشارة : فقد جهلت يا فرعون بوعيدك إياى والعين واحدة فكيف فرَّقت ؟ فيقول فرعون : إنما فرَّقت المراتب العين ما تفرقت العين ولا انقسمت فى ذاتها ، ومرتبتى الآن التحكم فيك يا موسى بالفعل ، وأنا أنت بالعين ، وأنا غيرك بالرتبة » - وساق الكلام إلى أن قال : « ولما كان فرعون فى منصب الحكم صاحب الوقت وأنه الخليفة بالسيف وإن جار فى العُرف الناموسى لذلك قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾ [3] وإن كان الكل أرباباً بنسبة ما ، فأنا الأعلا منهم بما أعطيته فى الظاهر من التحكم فيكم ، ولما علمت السحرة صدقه فيما قال لهم لم ينكروه وأقرّوا له بذلك وقالوا له : ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ، إِنَّمَا تَقْضِى هَذِهِ الحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [4] فالدولة لك فصحَ قوله : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾ ، وإنَ كان عين الحق فالصورة لفرعون فقطع الأيدى والأرجل وصلب بعين حق فى صورة باطل لنيل مراتب لا تُنال إلا بذلك الفعل ، فإنَّ الأسباب لا سبيل إلى تعطيلها لأنَّ الأعيان الثابتة اقتضتها ، فلا تظهر فى الوجود إلا بصورة ما هى عليه فى الثبوت ، إذ لا تبديل لكلمات الله ، وليست كلمة الله سوى أعيان الموجودات » .

* * *

(١) الشعراء : ٢٤ (٢) الشعراء : ٢٩
(٣) النازعات : ٢٤ (٤) طه : ٧٢